

المظاهر الحضارية في شعر الأعشى

دكتورة / هبة نور الدين محمود همام

مدرس بقسم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم — جامعة المنيا

المظاهر الحضارية في شعر الأعشى دكتورة/ هبة نور الدين محمود همام

مدرس بقسم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

ننخل: الأعشى، ومظاهر الحضارة في شعره:

ما زالت كتب النقد الأدبي تُعرف بأعلام الشعر العربي فتقول: (امرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب). ويُعد الأعشى شاعراً جاهلياً قديراً له مكانته الشعرية المعروفة بالغزارة والفحولة، وله أثره القوي في الشعر العربي. وقد أثرت الأعشى دون غيره من الشعراء بالدراسة لأن شعره يقدم لنا صورة واضحة عن الشاعر الجاهلي البدوي وأثر البيئة فيه، هذا الشاعر الذي كان على اتصال دائم بالحضارات القريبة منه، حيث ظهر أثر هذا الاتصال واضحاً في شعره، فاتسع أفقه، وتنوع خياله ليعطينا فكرة صالحة واضحة عن العقلية الثقافية الجاهلية وحضارتها في أبهى صورها.

اسمه ولقبه:

الأعشى هو "ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار^(١).

وسمي الأعشى بـ "أعشى قيس" و "أعشى ربيعة" و "أعشى بكر" و "الأعشى الأكبر" تمييزاً له عن سائر العشو من الشعراء، فقد نقل ابن منظور عن ابن الأعرابي قوله: "أعشى بني قيس أبو بصير، وأعشى أهلة أبو قحافة، وأعشى بني نهسل الأسود

(١) الإصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر

للطباعة والنشر، لبنان، ج ٩، ص ١٢٧.

بن يعقر، وفي الإسلام أعشى بني ربيعة من بني شيبان، وأعشى همدان، وأعشى تغلب بن جاون، وأعشى طرود بن سليم (١).

ولقب الأعشى كذلك بـ "صناجة العرب"؛ وذلك لجودة شعره وغزارته وفحولته، ولما له في الأذان من دوي ورنين حتى ليخيل للسامع أنه ينشد على جرس الصنج، ويرى ابن قتيبة أنه سمي بذلك لأنه أول من ذكر الصنج في شعره (٢) فقال (٣):

وَمُسْتَجِيبُ تَخَالِ الصَّنَجِ يَسْمَعُهُ إِذَا تُرْجِعُ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفَضْلُ

- نشأته وعصره:

نشأ الأعشى في قرية من قري إقليم اليمامة تدعى (منفوحة) (٤)، ولم تحفظ لنا كتب التاريخ والأدب شيئاً عن نشأة الأعشى، وما يروي عن بعض القصص والروايات المتناثرة عن هذا الشاعر إنما هي بالاعتماد على أبيات شعرية، ومن تلك الروايات أن أبا الأعشى كان يدعى قيس بن جندل قتيل الجوع سمي بذلك لأنه دخل غاراً يستظل فيه من الحر فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً فقال فيه جهنم (٥)، واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوهم وكانا يتهاجيان فقال (٦):

أَبُوكَ قَتِيلُ الْجُوعِ قَيْسُ بْنُ جَنْدَلٍ وَخَالُكَ عَبْدٌ مِنْ خُمَاعَةٍ رَاضِعُ

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج ١٥، ص ٥٧.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤٨.

(٣) شرح ديوان، الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٥.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ج ٩، ص ١٢٧.

(٦) المصدر السابق.

وقيل إن الأعشى قد أدرك الإسلام في أواخر عمره، لأن أكثر الذين منحهم كقيس بن معد يكرب وآل عبد المदान، وعامر بن الطفيل كانوا في أواخر العصر الجاهلي^(١)، كما وفد الأعشى إلى النبي ﷺ وأعد قصيدة في مدحه كان أولها^(٢):

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمُ الْمُسَهَّدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَا

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صناجة العرب، ما مدح أحداً قط إلا رفع في قدره، فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال أردت صاحبكم هذا لأسلم. قالوا: إنه ينهاك عن خلل ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق، قال: وما هن؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزنا، قال: لقي تركني الزنا وما تركته، ثم ماذا؟ قال: القمار. قال: لعلي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار، ثم ماذا؟ قالوا: الربا، قال: ما دنت ولا أدنت، ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوه أرجع إلى صباية قد بقيت لي في المهراس فأشربها. فقال له أبو فسيان: هل لك في خير مما هممت به. قال: وما هو؟ قال نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنتظر ما يصير إليه أمرنا فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً، وإن ظهر علينا أتيت، فقال: ما أكره ذلك فقال أبو سفيان: يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن أتى محمداً وأتبعه ليضر من عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا فأخذها وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع منفوحة رمي به بغيره فقتله^(٣).

يتضح لنا من هذه القصة أن الأعشى كان مرهوباً عند العرب بفضل شعره، الأمر الذي دفع قريش إلى جمع مئة ناقة حمراء له حتى لا يسلم ويناصر النبي ﷺ بشعره.

(١) طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٢٣٥.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) الأصبهاني، الأغاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ج ٩، ص ١٤٧ - ١٤٨.

- حياته:

أما حياة الأعشى العائلية فهي غامضة أيضاً، لا يعلم منها إلا ما يُستشف من بعض أشعاره، فقد تزوج الأعشى امرأة من (عذرة) فلم يرضها ولم يستحسن خلقها فطلقها (١)، وله واحد من الأولاد وهو "أبنة الذي كان يقوده في سوق عكاظ ويذكر الأعشى ابنته التي كانت تحاوره فيقول (٢):

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدُّ الرَّحِيلِ أَرَأَيْتَ سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ
أَبَاتُهَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدِنَا فَأَيُّهَا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمِ
وَيَا أَبَاتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا فَأَيُّهَا نَخَافُ بِأَنْ تُخْتَرِمِ

- شعره:

إن كان سתר التاريخ قد حجب عنا الكثير عن حياة الأعشى وأخباره، فإن شعره نور يكشف ما وراء السطور، ويكشف ما تكتفه حياته من الغموض، فقد جمع الرواة لنا أشعاراً للأعشى تمثل شخصه، وحياته، وعصره خير تمثيل.

أما ديوانه فإنه يكشف لنا عن عبقرية فذة ومقدرة لغوية منفردة في نظم الشعر، ولذلك كان مقدماً على كثير من شعراء عصره، فقد وضعه ابن سلام 'الجمحي' في الطبقة الأولى مع "امرئ القيس والناطقة الذبياني وزهير بن أبي سلمى (٣)، وهو رابع هذه المجموعة فقد نقل ابن قتيبة عن أبي عبيدة قوله (٤): "الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين وهو يقدم على طرفه، لأنه أكثر عدد طوال جيد، وأوصف للخمير والحمير، وأمدح وأهجي".

وقد أعجب الرواة والنقاد بشعر الأعشى، فكان أبو عمرو بن العلاء يقرئه ويوصي الناس بشعره، فيقول (٥): "عليكم بشعر الأعشى فإنني شبهته بالبازي يصيد ما بين العنديل إلى الكركي".

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٧.

(٣) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني، القاهرة، ج ١، ص ٥١.

(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٥٠.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ج ٩، ص ١٣٠.

أما أعراضه الشعرية فقد كان المدح والخمر والغزل أشهرها، حيث مدح طائفة من إشراف العرب ولكن العصبية استغلت هذا المنح، فأكثر مدحه منصرف إلى اليمينين، أما علاقته بالخمر فقد كانت علاقة قلبية، فقد كان الأعشى مفتوناً بالخمرة ومجالسها وقد رأينا ذلك عندما تحدثنا عن الحياة الفنية في جزيرة العرب من الدراسة الموضوعية.

كما أطلال الأعشى في شعر الخمرة رُفِصَ فيها الحديث، وافتتن في وصفها ووصف بيوتها وتصوير أثرها في النفس، وقدم لنا صورة دقيقة حية لمجالسها في بيئات متنوعة متباينة، بعضها حضري مترف، وبعضها ريفي ساذج، واتسمت خمرياته بالسهولة والسلاسة والخلاعة وتدفق العاطفة. وكان موفقاً كل التوفيق في اختيار الصور الشعرية التي تناسبت مع هذا الفن.

أما غزل الأعشى فقد كان يفيض بالشهوة العارمة، ومن أظهر الأمثلة على ذلك أبياته التي يصف فيها صاحبتة قتيلة، فيدقق في وصف جسمها، ويتتبع بعينه الجائعة ما أخفت ملابسها من مواضع الفتنة المثيرة ويتصورها حين تقعد وحين تقوم، وحين تقبل وحين تدبر، وحين تلوح بيدها في دلال، وحين تنفصل في ثياب النوم، وحين تتبطح على الأرض^(١)، وكثير من غزل الأعشى كان يصور فيه نساء غير عربيات بعضهن من القيان كقتيلة، وهريرة، وجبيرة قيان بشر بن عمرو وكان قد قديم بهن من اليمامة حين هرب من النعمان.

- وفاته:

ليست هناك معلومات واضحة عن كيفية موت الأعشى وتاريخ ذلك، إلا ما عرفناه من قصته، مع أبي سفيان وكفار قريش، التي تقول " بأن بعيره رمي به في بقاع منفوحة فقتله، ومن الناس من يورخ وفاته بسنة سبع للهجرة مستبطين ذلك من هذه القصة، وضائين أن الهدنة التي تحدث عنها أبو سفيان هي هدنة الحديبية^(٢)، وعلى كل فما يهمنا من ذلك أن الأعشى عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام لكنه لم يسلم، ومات مخلفاً لنا ثروة شعرية كبيرة تستحق منا أن ندرسها ونندارسها.

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢١.

(٢) ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٣٩.

مظاهر الحضارة في شعر الأعشى

عُرف الأعشى بكثرة رحلاته، وأسفاره فكان لا يلزم قرينة (منفوحة) وقد اختار الأعشى في رحلاته النابهين من إشراف وسادات الجزيرة العربية، فخصّهم بمدائحهم حتى نال منهم الجوائز والعطايا.

"ولما كانت الحيرة في ذلك العصر حاضرة من حواضر البوادي، فيها دولة مستقرة، فقد يَمّ الأعشى شطرها، وأقام فيها زمناً يمدحُ أمراءها وإشرافها كالأسود بن المنذر، وأخيه النعمان، وإياس بن قبيصة الطائي. وقصد نجران ومدح ساداتها ومنهم بنو عبدالمدان بن الديان، وهوذة بن علي سيد بني حنيفة وتردد على سوق عكاظ ومدح من كان يلقي في هذه السوق من شيوخ العرب (١).

وقد ذكر أهل الأخبار أن الأعشى طاف في رحلاته على الكثير من البلاد العربية والفارسية، فرحل إلى حضر موت، وكندة، واليمن، وحمص، وبيت الشام وبلاد الفرس والأحباش. وقد أبلغته هذه الأسفار والرحلات أبواب الأمراء ووصلته بمراكز الحضارة فاطلع على أحداث الزمان، وجاب البلاد فاغتنت ثقافته بأخبار الأولين من الملوك والعظماء.

وظهرت تلك الآثار جميعها في شعره، فذكر الكثير من أسماء الملوك وألقابهم، وأخبار الأمم البائدة، والأديرة، والحانات، وقد حوي شعره كثيراً من الألفاظ الفارسية والرومية التي دلت على مظاهر اجتماعية شملت مجالس اللهو والخمرة، والأنس وآلات الطرب والغناء، وألوان الطعام والشراب، وصنوف الرياحين، والطيب، والثياب الحريرية والأحجار الكريمة والجواهر وغيرها الكثير. يقول الأعشى معبراً عن طول رحلاته وكثرة البلاد التي طافها (٢).

وَقَدْ طَفَفتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ عَمَّانَ فَحِمِصَ فَأُورِيشَ
أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ

(١) د. غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياها - أغراضه - أعلامه - فنونه، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م، ط ١، ص ٤٠٤.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣١٨.

فَنَجْرَانِ فَالْأَسْرَوُ مِنْ حِمَيْرٍ فَأَيَّ مَرَامٍ لَهْ لَمْ أَرُمْ
وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى خَضْرَمَوْتَ فَأَوْفَيْتُ هَمَنِي وَحِينَا أَهْمُ

- أهم مواطن الحضارة في شعر الأعشى:

وفي شعر الأعشى الكثير من أسماء المواضع والأماكن خاصة تلك الأماكن التي مهدت لقيام حضارات عريقة على أرضها، ومن بين أهم تلك المناطق التي اشتهرت بكثرة مزروعاتها وخصوبة أرضها التي مهدت لقيام حضارة على أرضها وحي حضارة (اليمن السعيد).

ففي شعر الأعشى ذكر لمدينة مأرب التاريخية تلك المدينة التي اشتهرت بكثرة أسواقها ومعابدها، ومنازلها السكنية الكثيرة، ومن بين الأسباب التي جعلت من هذه المدينة رمزاً للشموخ والتصدي هو قوة أسوارها وأبراجها الدفاعية التي جعلت هذه المدينة تصمد في وجه كل المحاولات العسكرية للاستيلاء عليها، وفي شعره ذكر لسد مأرب الذي استفاد منه المزارعون في سقي مزارعهم، يقول الأعشى (١):

فَقِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِّي أَسْوَةً وَمَأْرِبُ قَقَى عَلَى الْعَرِمِ
رُخَامٌ بَنَتْ لَهُمْ حِمَيْرٌ إِذَا جَاءَهُ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرِمِ
فَأَرَوِ الزَّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا عَلَى سَعَةِ مَاؤُهُمْ إِذْ قَسِمِ

ومن مناطق اليمن الأخرى المشهورة بالزراعة " أثافت " (٢) وهي قرية باليمن ذات كروم كثيرة (٣) وفيها يقول الأعشى (٤):

أَحِبُّ أَثَافِتَ وَقْتِ الْقِطَافِ وَوَقْتَ عُصَارَةِ أَعْنَابِهَا

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٢) بلد همدان أثافت ويسمى كثير من همدان أثافة علي قول من يقول تابوت وتابوه ولهم بها عدد وشرف وكرم، وكان أعشى بني قيس بن ثعلبة يزورهم ويتخرف عندهم، وكان له في أعنابهم معتصر للخمر. الهمداني، الإكليل، ج ١، ص ١١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٨٩.

(٤) شرح ديوان، الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٦٩.

ومن الأراضي الخصبة الجميلة في شبه الجزيرة العربية والتي جاءت في شعر الأعشى اليمامة وهي التي قال عنها أهل الأخبار ^(١): وكانت أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخبلاً.

ونعتت بريف مكة إذ كانت تمون مكة بالحبوب ولولاها لما تمكنت مكة من العيش برخاء ^(٢)، ومن مناطق اليمامة الزراعية العرض، والعرض "واد باليمامة" ^(٣) ويذكر الأعشى أن ضروباً من الزروع والنخل كانت تزرع فيها، إذ يقول ^(٤):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا نَخِيلًا وَزَرْعًا نَابِتًا وَفَصَافِصًا

ومن مناطق اليمامة أيضاً التي اشتهرت بنخيلها منطقة "يترب" ويقول فيها الأعشى ^(٥):

قَلَمًا اسْتَقَلَّتْ قُلْتُ نَخْلَ ابْنِ يَامِنٍ أَهْنُ أُمِّ اللَّاتِي تُرِبْتُ يَكْرِبُ
طَرِيقَ وَجَبَارٍ رِوَاءَ أَصُولُهُ عَلَيْهِ أَبَابِيلُ مِنَ الطَّيْرِ تَنْعَبُ

ويذكر الأعشى مدينة العراق التي كانت تمول المدن الأخرى بالطعام إذ كان ملوكها يفيضون كل عام بما لديهم من الحلل والدراهم فيقول ^(٦):

طَعَامُ الْعِرَاقِ الْمُسْتَفِيزُ الَّذِي تَرَى وَفِي كُلِّ عَامٍ خُلَّةٌ وَدَرَاهِمُ

كما يذكر مدينة بابل المشهورة بعراقة حضارتها، ويذكر نهر النيل الذي كان يسقي أهل بابل رغداً فيقول ^(٧):

مَا النَّيْلُ أَصْبَحَ زَاخِرًا مِنْ مَدَّةِ جَاءَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا فَجَرَى لَهَا

(١) جاد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٧، ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج ٧، ص ١٧٢.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٩٢.

(٥) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٤٥.

(٦) السابق، ص ٣٤٢.

(٧) السابق، ص ٢٥٨.

زَبَدًا بِبَابِلَ فَهُوَ يَسْقِي أَهْلَهَا رَغَدًا تُفَجِّرُهُ النَّبِيْطُ خِلَالَهَا

ويقول أيضاً في خلاصة خمر (بابل) الطيبة اللذيذة (١):

بِبَابِلَ لَمْ تُعْصِرْ فَجَاعَتِ سُلَاقَةُ تَخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكًا مَخْتَمًا

ويذكر الأعشى في شعره مواطن الحضارة القديمة منها: إرم وعاد وغمدان، فيقول (٢):

أَلَمْ تَرَوْا إِرْمًا وَعَادًا أَوْدَى بِهِمَا اللَّسِيلُ وَالنَّهَارُ

وَأَهْلُ غُمْدَانَ جَمَعُوا لِلدَّهْرِ مَا يُجْمَعُ الْخِيَارُ

= حضور الملوك في شعر الأعشى:

لقد برع الأعشى في مدح الملوك والأمراء أكثر عن غيره لكسب العطايا، وأتقن فن المدح إتقان المتمرس الخبير الضليع في أصول صناعة المدح، كما أنه تغلغل في نفوس الأمراء، وعرف ما يرضيهم من المعاني فنظمه شعراً سائغاً سهل التناول والتداول (٣)، ولذلك كثر حضورهم في شعره.

وقد عكس الأعشى في شعره أجمل المعاني والمظاهر المعيشية التي ارتبطت بحياة الملوك والأمراء، من خلال إلحاحه على أبرز المعاني الدالة على ذلك منها: سهر الملك على الرعية، وتقديره الدائم في تدبير أمور الملك، ويقظته الدائمة، فهو كثير الخروج ليلاً، كثير الهجر لفراشه الناعم، ومتمرس لفنون القتال، وقد جمع الأعشى هذه المعاني في الملك النعمان بن المنذر فخصه بهذه القصيدة التي يقول فيها (٤):

إِلَى مَلِكٍ لَا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ خُرُوجَ تَرْوِكَ لِلْفِرَاشِ الْمُهْهَدِ

طَوِيلِ نِجَادِ السِّيفِ يَبْعَثُ هَمَّهُ نِیَامَ الْقَطَا بِاللَّيْلِ فِي كُلِّ مَهْجَدِ

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) د. غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص ٤١١.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٣١.

كما حرص الأعشى على إرضاء غرور الأمراء، فصور خشية الناس من عقابهم الزاجر؛ وصور رجائهم في الحصول على الثواب الغامر، وقد خص بذلك الأسود بن المنذر اللخمي، يقول (١):

أَرْحِي صِلْتُ يَخْلُ لَه الْقَو م رُكُوداً قِيَامُهُمْ لِلَّهِ لَلِ
إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْ طِ جَزِيلاً فَاتَّاهُ لَا يُبَالِي

عل الأعشى من (هوذة) رجلاً مباركاً يسجد له كل من يتغاه لطلعته المهيبة، وقد أظهر الأعشى في هذه الأبيات مظاهر الترف التي عاشها الأمراء في ذلك العصر، فترى هوذة قد تعصب التاج، ووضعت فوقها الأكاليل التي زينها صواغها بالياقوت فلا ترى فيها عيباً ولا نقصاً يقول الأعشى (٢):

مَنْ يَلْحَى هَوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّئِبٍ إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ زَيْنَهَا صَوَاغُهَا لَا تَرَى عَيْباً وَلَا طَبْعَا
وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيَبِاجِ يَلْبَسُهُ أَبْوَ قَدَامَةً مُحِبُّوْا بِذَلِكَ مَعَا

ويلح الأعشى ليجعل الأمير ذات هيبة، فيصور الأمير الغساني على نحو ذوق يرضي ذوق الجاهليين، فيصور يديه صاعدة وهابطة بالسيف في رقاب الأعداء بالحية الفاتكة القاتلة، يقول (٣):

يَرَاكَ الْأَعْدَاءُ عَلَى رَغْمِهِمْ تَخْلُ عَلَيْهِمْ مَحْكَأَ عَوِيصَا
كَحَيَّةٍ سَلَعٍ مِنَ الْقَاتِلَاتِ تَقْدُ الصَّرَامَةَ عَنْكَ الْقَمِيصَا

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراونا، ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٤.

- ذكر ألقاب دلت على مراتب ملوك الفرس:

ومن بين الألفاظ التي ذكرها الأعشى والتي دلت على مراتب ملوك الفرس هي: دهقان^(١)، كما في قوله^(٢):

عَدَّ هَذَا فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَادَّكَّرَنَ فِي الشَّعْرِ دِهْقَانَ الْيَمَنِ

وأراد الأعشى هنا بـ دهقان اليمن قيس بن معد يكرب^(٣)، ومن الألفاظ الفارسية أيضاً سمسار^(٤)، وقد جاءت في قوله^(٥):

وَأَصَابَتْ لَا أَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ سِوَى أَنْ أُرَاجِعَ سِمَسَارَهَا

وغرنيق^(٦) وجمعها "غرانيق"، وقد وردت في شعره وهو يفخر بأبناء قيس بن ثعلبة^(٧) الشم الأنوف، البيض الوجوه، يقول الأعشى^(٨):

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةِ قَيْسِيَّةٍ شُمُّ الْأُنُوفِ غَرَانِقٍ أَحْشَادِ

(١) دهقان: الدهقان: التاجر، فارسي معرب، لسان العرب، دار صادر، ج ١٠، ص ١٠٧.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٥٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥٧.

(٤) سمسار: فارسية معربة والجمع السماسرة وقيل السمسار القيم بالأمر الحافظ له، وفي الحديث أن النبي ﷺ سمامهم التجار بعدما كانوا يعرفون بالسماسرة والمصدر السمسرة وهو أن يتوكل الرجل من الحاضرة للبادية فيبيع لهم ما يجلبونه، وفي حديث قيس بن أبي عروة كنا قوماً تسمى السماسرة بالمدينة في عهد رسول الله فسمانا النبي التجار، لسان العرب، دار صادر، ج ٤، ص ٣٨٠-٣٨١، وجاءت هنا بمعنى: الرسول بين المحبين، شرح ديوان الأعشى، سلسلة شعراؤنا، ص ١٤٨.

(٥) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٤٨.

(٦) غرنيق: الغرنيق والغرناق والغرائق والغروائق كله: الأبيض الشاب الناعم الجميل، وفي حديث علي عليه السلام: فكأنني أنظر إلى غرنوق من قرش يتشطح في دمه، أي شاب ناعم، وشباب غرائق: تام لسان العرب، دار صادر، ج ١٠، ص ٢٨٧.

(٧) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١١٨.

(٨) المصدر السابق.

ومن الألفاظ الفارسية التي دلت على ألقاب الملوك شاهنشاه^(١) وردت في قوله^(٢):

وكِسرى شَهْنشاهُ الَّذِي سَارَ مُلْكُهُ لَمَّا اسْتَهْمَى رَاخَ عَتِيقٍ وَزَلَّ بِقُ

ومنها كلمة "شاهبور"^(٣) وهي كلمة فارسية مركبة من شاه: أي ملك، وبور: أي ابن. وشاهبور: ابن هرمز ملك الفرس^(٤)، وردت في قوله^(٥):

أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الْجُنُودَ دَحُولِينَ يَضْرِبُ فِيهِ الْقُدَمُ

- ذكر أسماء الملابس الحريرية والأنسجة اليمانية:

وتعد صناعة المنسوجات والمواد الخام من أهم الصناعات العربية، إذا شهدت اليمين حركة صناعية قوية في أكثر المجالات قديماً، حيث أقبل العرب على شراء تلك المصنوعات المتوافرة في أسواقهم أو عن طريق القوافل التي كانت تشق طريقها عبر البر.

أما صناعة المنسوجات فقد تناثرت الألفاظ الدالة عليها في الشعر الجاهلي كثيراً فكل أمة - ولاسيما أهل الحاضرة - محتاجون لهذه الصناعة لأجل لبوسهم وفرشهم وحمل أثقالهم ونحو ذلك. ويعود انتشار هذه الصناعة في البلاد العربية لتوافر المواد الأولية اللازمة لها، ومن أشهر هذه المواد: "الكتان"، و "الحرير".

(١) شاهنشاه: قال أبو سعيد السكري في تفسير شاهنشاه بالفارسية: إنه ملك الملوك، لأن الشاه الملك، وأراد شاهان شاه، قال ابن بري: انقضي كلام أبي سعيد: قال: وأراد بقوله شاهان شاه أن الأصل كان كذلك، ولكن الأعشى حذف الألفين منه فبقي شاهنشاه، لسان العرب، دار صادر، ج ١٣، ص ٥١١.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٣٠.

(٣) شاهبور: وأما قول الأعشى يذكر بعض الحصون: أقام به شاهبور الجنود حولين تضرب فيه القدم فإنما عنى بذلك سابور الملك إلا أنه لما احتاج إلى إقامة وزن الشعر رده إلى أصله في الفارسية، وجعل الاسمين واحداً وبناء علي الفتح مثال خمسة عشر، لسان العرب، دار صادر، ج ١٣، ص ٥١١.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣١٨.

(٥) المصدر السابق.

فقد اشتهرت الأنسجة اليمانية المصنوعة من الكتان في الجزيرة العربية وأقبل الأغنياء على شرائها إذ كانت غالية الثمن، ومن خصائص الملابس الكتانية أنها تعطي برودة خاصة في الصيف، ولهذا كانت رائجة، وكانت مصر ذات شهرة خاصة في تصدير أنسجة الكتان، فكان كتانها لطيفاً ناعماً ولهذا بيع بثمن مرتفع^(١).

أما المغنيات اللواتي كن في حضرة الملوك والأمراء، فقد حظين بنصيب كبير من هذه الثياب، إذ كن يلبسن هذه الملابس ويرفلن فيها وهن يطربن القوم، وفيهن يقول الأعشى^(٢):

هُوَ الْوَهِيبُ الْمُسَمِّعَاتِ الشُّرُوبِ بَيْنَ الْخَرِيرِ وَبَيْنَ الْكَتَنِ

ما الثياب الحريرية فقد انتشرت بين أغنيا العصر الجاهلي أيضاً، وتعد أوراق شجرة التوت الغذاء الرئيسي لدودة القز أو دودة الحرير التي تقوم بعد التغذية بإفراز خيط الحرير الذي سمي الشرنقة، ومن هذه الشرنقة تستخرج خيوط الحرير^(٣).

وتظهر صورة الجواري المغنيات في شعر الأعشى وقد لبسن الحرير والقوم يتمتعون أعينهم بمنظرهن الجميل، ومن ذلك قول الأعشى^(٤):

نَرَى الْخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِراً وَتُطْبِنُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ الْخَرِيرَا

وللحرير أنواع منها: الإضريح وهو " الخز الأصفر " ^(٥)، ومنها الحرير الشرعبي^(٦) وقد ذكرهما الأعشى في قوله^(٧):

وَالْبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الْإِضْ رِيحٍ وَالْشَّرْعَبِيِّ ذَا الْأَذْيَالِ

(١) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٦٠١.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٦٥.

(٣) د. خليل عيد سالم الرفوع، في النصوص الجاهلية، ص ١٠٢.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٦٠.

(٥) أبي الحسن علي بن إسماعيل النحر الأنطلس، المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥ م، ط ١، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ج ١، ص ٣٨٣.

(٦) ضرب من البرود، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج ١، ص ٤٩٤.

(٧) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٠١.

ومن أنواع الحرير أيضا الديباج^(١)، وقد ذكر الأعشى أن كسرى أنعم على هودة بالتاج والديباج يقول^(٢):

وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيبَاجِ يَكْبِسُهُ أَبُو قَدَامَةَ مُحِبُّوهُ بِذَلِكَ مَعَا

وقد حوي ديوان الأعشى على كثيراً من أسماء الملابس العربية، ومن الأسماء التي وردت في شعر الأعشى "الباغزية"^(٣)، بزود السدير^(٤)، الخمس^(٥)، الخميصة^(٦)، الشرعي^(٧)، الشف^(٨)، الشيدارة^(٩)، القطيف^(١٠)، اللفاق^(١١)، المرجل^(١٢)، المريس^(١٣)، الموسم^(١٤).

(١) هو فارسي معرب، ويبدو أنه كان يستورد من بلاد فارس خليل عبد سالم الرفوع، في النصوص الجاهلية، ص ١٠٢.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراونا، ص ٢٠٤.

(٣) يقول الأعشى، وَحَثَّنَ الْجَمَالَ يَسْهَكُنْ بِأَلْبَا غَزِ وَالْأَرْجَوَانِ خَمَلِ الْقَطِيفِ، شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراونا، ص ٢١٢.

(٤) وَيَبْدَأُ فَقَرِ كَبْرَدِ السَّدِيرِ مَشَارِبُهَا دَائِرَاتُ أَجْنٍ، ومنها قوله أيضاً: كُنْ ظِيَاءَ وَجَرَةٍ مُشْرِفَاتٍ عَلَيْهِنَ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ، المصدر السابق، ص ٣٦١.

(٥) يَوْمًا تَرَاهَا كَتَبِهِ أَرْدِيَةِ الْـ خَمْسِ وَيَوْمًا أَدِيمُهَا تَغْلَا. المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٦) إِذَا جُرَدَتْ يَوْمًا حَصِيَتْ خَمِيصَةً عَلَيْهَا وَجَرِيلاً يُضِيءُ ذَلَامِصًا، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٧) وَالْبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الْإِضْ رِيحٍ وَالشَّرْعِيَّ ذَا الْأَذْيَالِ، المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٨) خَاشِعَاتٍ يَظْهَرْنَ لَكُسْيَةَ الْخَزْ زِ وَيُطِئْنَ بُونَهَا بِشَلُوفٍ، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(٩) إِذَا لَبِسْتَ شَيْدَارَةً ثُمَّ أَبْرَقْتَ بِمِعْصَمِهَا وَالشَّمْسُ لَمَّا تَرَجَّلَ. المصدر السابق، ص ٣٠٨.

(١٠) وَحَثَّنَ الْجَمَالَ يَسْهَكُنْ بِأَلْبَا غَزِ وَالْأَرْجَوَانِ خَمَلِ الْقَطِيفِ، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(١١) فَيَارَبُ نَاعِيَةً مِنْهُمْ تَشُدُّ اللَّفَاقَ عَلَيْهَا إِزَارًا، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(١٢) يَرْكُضْنَ كُلُّ عَثِيَّةٍ عَصَبِ الْمُرَيْشِ وَالْمَرَاكِجِ، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

(١٣) ذكر في البيت السابق.

(١٤) وَكُلُّ نَمُولٍ كَالْفَنِيْقِ وَقَيْنَةٍ تَجُرُّ إِلَى الْحَاثُوْبِ يَرُدُّا مُسْتَهْمًا. المصدر السابق، ص ٣٣٨.

كما وردت في شعره الكثير من الألفاظ الدالة على الأكسية والملحف، والبسط والوسائد ومنها: " لأزرار " ^(١)، وقد ذكره الأعشى وهو يمدح قيس بن معد يكرب، فيقول ^(٢):

يُعَاصِي الْعَوَازِلَ طَلَقَ السَّيِّدِينَ يُرَوِّي الْعَفَاةَ وَيُرْخِي الْإِزَارَا
ومن القصص " البقير " ^(٣)، وقد أشار إليه الأعشى في وصف صاحبه بأنها تلبس البقير والإزار في قوله ^(٤):

كَتَمَ بَيْلُ النَّشْوانِ يَمْرُ فُلٌ فِي الْبَقِيرَةِ وَالْإِزَارَةِ
ومن السراويلات " التبان " ^(٥)، وقد ذكره الأعشى في شعره يصف اجتماع القوم حول الأسد في عرينه، يقول ^(٦):

كَأَنَّ ثِيَابَ الْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ تَبَابِينُ أَنْبَاطٍ لَدَى جَنْبِ مُحْصَدٍ
- ذكر أنواع الورود والرياحين بألفاظها الفارسية:

كما حوى ديوان الأعشى على ألفاظ فارسية دلت على أنواع الورود والرياحين وما يتبعها من الألفاظ الفارسية المعربة منها " الجل " ^(٧).

(١) الإزار: بالكسر، معروف، وهو (الملحفة)، وفسره بعض أهل الغريب بما يستر أسفل البدن، للزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، ج ١٠، ص ٤٣.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٤٠.

(٣) البقير: البقير والبفرة، برد يشق فيلبس بلا كمين ولا جيب، وقيل: هو الإتب، الأصمعي: البقيرة أن يؤخذ برد فيشق ثم تلقى المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب، والإتب قميص لا كمين له تلبسه النساء، لسان العرب، دار صادر، ج ٤، ص ٧٤.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٤٣.

(٥) التبان: التبان بالضم والتشديد سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة ويقد يكون للملاحين، الرازي، مختار الصحاح، ج ١، ص ٣١.

(٦) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٣٣.

(٧) الجل: الياسمين، وقيل: هو الورد أبيضه وأحمره، وأصفره فمعه جبلي ومنه قروري، واحدته جلة حكاة أبوحنيفة قال: وهو كلام فارسي وقد دخل في العربية، لسان العرب، دار صادر، ج ١١، ص ١٢٢.

وقد وردت في قوله^(١):

وَشَاهِدُنَا الْوَرْدُ وَالْيَاسَمِيُّ ن وَالْمُسَمِّعَاتُ بِقُ صَابِهَا

وقد رسم الأعشى في أبياته صورة لبيئة من بيئات الخمر الفارسية المترفة في العراق، فعدد ألوان الرياحين وآلات الطرب بأسمائها الفارسية، ومن الألفاظ الفارسية التي دلت على أنواع الرياحين والورود: البنفسج، واليسينير، والمرزجوش^(٢)، يقول الأعشى^(٣):

لَنَا جُلَسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ وَسَيْسَنِيرٌ وَالْمَرْزَجُوشُ مُمْنَمَا

ومنها أيضاً: الآس، والخيري، والمرو، والسوسن^(٤)، وردت في قوله^(٥):

وَأَسٌّ وَخَيْرِيٌّ وَمَرُوقٌ وَسُوسَنٌ إِذَا كَانَ هِنَزٌ^(٦) مِنْ وَرَحَتْ مُخَشَّمَا

ومنها: الشاهسقرم، والياسمين، والنرجس^(٧)، يقول الأعشى^(٨):

وَشَاهَسَقْرَمٍ وَالْيَاسَمِينَ وَنَرْجِسٍ يُصَبِّحُنَا فِي كُلِّ دَجْنٍ تَغْيَمَا

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٦٩.

(٢) البنفسج، واليسينير، والمرزجوش: أنواع من الرياحين والورود كلها أسماء فارسية معربة، شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(٤) " الآس، والخيري، والمرو، والسوسن"، كلها أنواع من الرياحين (فارسية معربة)، شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٣٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٣٤.

(٦) هنزمن: الهنزم والهنزمن والهنزمن، كلها: عيد من أعياد النصارى، لسان العرب، دار صادر، ج ١٣، ص ٤٣٨.

(٧) الشاهسقرم، والياسمين، والنرجس: كلها أنواع من الرياحين، شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٣٤.

(٨) المصدر السابق، ص ٣٣٤.

ومنها " القنديد " ^(١) وردت في قوله ^(٢):

بِبَابِلَ لَمْ تُعْصِرْ فِجَاعَاتِ سُلَافَةٍ تُخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكَاً مُخْتَمًا

ومنها أيضاً " المسك " ^(٣)، وقد وردت هذه اللفظة في شعر الأعشى وهو يُشبهه رائحة الخمرة برائحة المسك فيقول ^(٤):

مِثْلُ ذِكْيِ الْمِسْكِ ذَاكَ رِيحُهَا صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ تَوَحَّح

ومنها أيضاً قوله وهو يصف بشرة الجارية الحسنة، وقد طلعت جسمها بالمسك والزعفران فبدت بشرتها صفراء، يقول ^(٥):

وَرَادِعَةٌ بِالْمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا لَجَسُّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدَّرْعِ مَقْتَقُ

- ذكر أنواع الخمرة وأسماء الأواني:

وقد وردت أسماء فارسية معربة في شعر الأعشى تتحدث عن أنواع الخمرة وأسماء الأواني التي كانوا يستخدمونها في أثناء الشرب منها: "الإبريق" ^(٦)، يقول الأعشى ^(٧):

بِكَاسٍ وَإِبْرِيقٍ كَأَنَّ شَرَابَهُ إِذَا صُبَّ فِي الْمِصْحَاةِ خَالَطَ بِقَمَّا

(١) القنديد: القند والقندة والقنديد كله: عصارة قصب السكر، والقنديد: الخمر. قال الأصمعي: هو مثل الإسفنت وأنشد: كأنها في سباع الدن قنديد وذكره في الرباعي وقيل: القنديد عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب ثم يفتق، عن ابن جني: ويقال إنه ليس بخمر. لسان العرب، دار صادر، ج ٣، ص ٣٦٩.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٣٣.

(٣) المسك: المسك معروف إلا أنه ليس بعربي محض. ابن سيدة: و المسك ضرب من الطيب مذكر وقد أنثه بعضهم علي أنه جمع، واحده مسكة، لسان العرب، دار صادر، ج ١٠، ص ٤٨٧.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٩٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٣٢.

(٦) الإبريق إناء، وجمعه أبريق، فارسي معرب، لسان العرب، دار صادر، ج ١٠، ص ١٨.

(٧) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٣٣.

ومن الألفاظ الدالة على الأواني " الغرب " ^(١)، وجاءت في شعر الأعشى يصف الخمرة، فيقول ^(٢):

إِذَا انْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ تَرَامَوْا بِهِ غَرِيًّا أَوْ نُضَارًا

ومنها " العلبة " ^(٣)، وقد وردت في قوله ^(٤):

بِالصَّحْنِ وَالْمِصْحَاةِ وَالْإِبْرِيقِ يَحْجُبُهَا عِلَابُهُ

ومن ألفاظ الآنية "الباطنية" ^(٥)، وردت في قوله ^(٦):

مِنْ زِقَاقِ التَّجْرِ فِي بَاطِنِيَّةٍ جَوْنَةٍ حَارِيَّةٍ ذَاتِ رَوْحٍ

ومنها لفظة "الديسق" ^(٧)، وقد وردت في شعره وهو يصف حصن الأبلق

للسؤال بن عاديء ويصف ما فيه من غرف الشراب، فيقول ^(٨):

وَحُورٌ كَأَمْثَالِ الدُّمَى وَمَنَاصِفٌ وَقِدْرٌ وَطَبَاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقٌ

(١) الغرب: الفضة، والنضار: الذهب، وقيل الغرب والنضار: ضربان من الشجر تعمل منها الأقداح، محمد بن عبد الرحمن راشد الثنيان، ألفاظ الآنية الخشبية في الحضارة العربية الإسلامية، ص ٤٦٤.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٤٠.

(٣) والعلبة: قدح ضخم من جلود الإبل، وقيل: العلبة من خشب، كالقدح الضخم يحلب فيها، وقيل: إنها كهيئة القصعة من جلد، ولها طوق من خشب، لسان العرب، دار صادر، ج ١، ص ٦٢٨.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٦٤.

(٥) الباطنية: الباطنية إناء قيل هو معرب وهو الناجود قال الشاعر: قربوا عوداً وباطنية، فبذا أدركت حاجتيه، الباطنية من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون، إذ وضع فيها القدح سحت به ورقصت من عظمها وكثرة ما فيها من الشراب، لسان العرب، دار صادر، ج ١٤، ص ٧٤.

(٦) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٩٣.

(٧) الديسق: خوان من فضة، لسان العرب، دار صادر، ج ١٠، ص ٩٧.

(٨) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٣١.

ومن الألفاظ الفارسية التي دلت على أواني الشرب في الجاهلية "القافوزة"^(١)، ووردت في شعره وهو يصف الساقى الذي لبس قرطين من اللؤلؤ "التومة" في أذنيه، وقد أتى إليه بقارورة الخمرة الكبيرة "قافزة"، يقول الأعشى^(٢):

وَذُو تَوْمَةٍ يَنْوَقُّ زَةً يَعْزُّ وَيُسْرِعُ تَكَرَّرَهَا

أما لفظة "حانوت"^(٣)، فهي من الألفاظ الفارسية التي دلت على بيت الخمر أو دكانه، يقول الأعشى^(٤):

وَقَدْ عَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَّبِعُنِي شَاوٍ مِثْلُ شَلُولٍ شُلْشُلٌ شَوْلٌ

وهناك ألفاظ أيضاً دلت على الخمرة منها "الإسفنت"^(٥)، وهي الخمرة المعتقة يقول الأعشى^(٦):

وَكُنَّ الْخَمَرُ الْعَتِيقُ مِنَ الْإِ سَفَنْطُ مَمَزُوجَةٍ بِمَاءِ زَلَالٍ

ومنها لفظة "الخنديس"^(٧)، وردت في قوله^(٨):

فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهُوَ الشَّبَا بٍ وَالْخَنْدِيرِيسُ لِأَصْحَابِهَا

وللأعشى الكثير من الألفاظ الدالة على آلات الموسيقى العربية والذخيلة ذكرناها سابقاً.

(١) القافوزة: القواقيز، جمع قاقوزة، وهي أوان يشرب بها الخمر، لسان العرب، دار صادر، ج ٥، ص ٣٩٦.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٤٩.

(٣) الحانوت: (والحانوت والحانية والحانة: الكان)، وجمع الحانوت الحواني، الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، ج ٣٧، ص ٤٩١.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٥) الإسفنت: ضرب من الأشرية فارسي معرب، لسان العرب، دار صادر، ج ٧، ص ٣١٦.

(٦) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٩٧.

(٧) الخنديريس: الخمر القديمة، قال ابن دريد: أحسبه معرباً سميت بذلك لقدمها، لسان العرب، دار صادر، ج ٦، ص ٧٣.

(٨) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٦٩.

روافد الصورة الشعرية في شعر الأعشى

إن المتأمل في ديوان الأعشى يري أن الصور الشعرية عند هذا الشاعر الجاهلي لم تكن تتشكل من فراغ، بل إن هناك روافد ومنابع أثرت في تكوين صورته تبعاً لبيئته وموطنه الذي عاش فيه، فقد كانت الحضارة الجاهلية زاخرة بالصور والمظاهر الطبيعية الحية منها والصامتة، فجاءت تشبيهات الأعشى واستعارته انعكاساً لتلك البيئة وتلك الحضارة الممزوجة إما ببساطة خيامها وموارد الحياة البدوية فيها من قطعان الإبل والماشية أو بزينة قصورها وترف مجالس اللهو فيها.

والروافد هي الأشياء التي يتكئ عليها الشعراء في إبداع صورهم، بل هي منطلقات الخلق الفني التي تعكسها مرآة الشاعر ^(١)، وقد تعددت وتنوعت تلك الروافد التي أثرت في الأعشى فانعكس هذا التأثير على شعره، ومن بين أبرز تلك الروافد تأثيراً في شعر الأعشى ما يأتي:

- الرافد الأول: البيئة:

نشأ الأعشى في قرية من قري إقليم اليمامة تدعى (منفوحة) ^(٢). فقد كانت اليمامة بلد الشعر، وكانت أسرة الأعشى أسرة الشعر، إذ كانت اليمامة أرض الشعراء ففيها نشأ المرقشان (الأكبر والأصغر)، والمتملس، والمسيب بن علس وغيرهم كثير. نشأ المعروف أيضاً أن أهل اليمامة كانوا "موسرين استخدموا الأجانب خدماً وزراعاً وصناعاً فضلاً عن الجواري، وعرفوا بصلاتهم التجارية العريضة مع التجار غير العرب" ^(٣)، ولهذا فقد ساعدتهم تلك العوامل على خلق بيئة ذات طابع شعري فكثر لذلك أعداد الشعراء في هذه البلدة، ولليمامة تاريخ مجيد حافل بالأحداث والآثار، حيث كانت مسكناً لطسم وجديس، وهما قبيلتان من قبائل العرب البائدة كثمود وعاد ^(٤)، وقد

(١) إبراهيم الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، مثال ونقد، ط١، ١٩٩٦، ص ٣٩.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٥.

(٣) د.عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية معياراً نقدياً منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير، دار

الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م، ص ٤٣.

(٤) د.جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ١٨٠.

أثرت هذه البيئة في توجيه حياة الأعشى، فكان شعره انعكاساً لها، إذ ذكر الأعشى في شعره وأدى العرض وما به من زرع ونخيل، ومنازل عالية لا يكاد يصل إلى نهايتها الطير، ويتخذ فيها الحمام أعشاشاً لها، يقول الأعشى (١):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا نَخِيلًا وَزَّرَعًا نَابِتًا وَقَصَافِصًا
وَذَا شُرَفَاتٍ يَقْصِرُ الطَّيْرُ دُونَهُ تَرَى لِلْحَمَامِ الْوُرُقَ فِيهِ قَرَامِصًا

ويذكر الأعشى قرية (درني) وما فيها، إذ كان يملك معصرة للخمر في تلك القرية (٢)، يقول فيها (٣):

وَإِنَّ لَنَا دَرْنَى فَكُلَّ عَشِيَّةٍ يُحَاطُ إِلَيْنَا خَمْرُهَا وَخَمِيلُهَا

أما القبيلة التي كان ينتمي إليها الأعشى فهي قبيلة بكر بن وائل، وكان شعره يشهد بما يكنه لقبيلته من حب وإعجاب، إذ كان دائم الحديث عن مناقب قبيلته وشيمها وطباعها في جميع حالاته، فها هو في حوار مع حبيبته يحدثها عن قومه فيقول (٤):

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَهْدِيَ لِقَوْمِي فَأَسْأَلِي عَنِ الْعِزِّ وَالْإِحْسَانِ أَيْنَ مَصِيرُهَا
تَرَى حَامِلَ الْأَثْقَالِ وَالِدَافِعِ الشَّجَا إِذَا غُصَّةً ضَاقَتْ بِأَمْرِ صُدُورُهَا

وقد تأثر الأعشى تأثراً كبيراً بالمكائد السياسية والأحداث السيئة التي تعرض لها قومه، إذ أخذ يدافع عنهم في شعره، ويهاجم الخارجين من أبناء عشيرته، ويحثهم على القيم العربية الأصيلة، ويصبح غاضباً في وجه (كسرى) حينما طلب من قوم الأعشى رهائن حتى يأمن مكرهم وتكبيرهم ضده (٥)، إذ كيف له أن يأخذ من قومه،

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراونا، ص ١٩٢.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٦٦.

(٣) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراونا، ص ٢٩٣.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٥) د. عباس بيومي عجلان، عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، ص ٢٤.

رهائن فيعرضهم للثلف كما آذاهم من قبل، ويهدده بأنه سوف ينشر بين الناس رسائل تخمش الوجوه وتذهب منشورة بين الناس على أفعاله السيئة، فيقول (١):

مَنْ مُبْلِغٌ كِسرَى إِذَا مَا جَاءَهُ عَنِّي مَالِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرْدَا
أَلَيْتُ لَا نَعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا رَهْنًا فَيُفْسِدُهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

ومن الصور النفسية التي تنقل لنا ما في نفس الشاعر من مشاعر صادقة تجاه قومه، قصيدته في العلاقة التي ساءت بين أبناء العمومة، فقد تفاقم الشر بينهم، فأخذوا يرمون الأعشى بكل نقيصة، وهو مع ذلك يدافع عنهم يزود ويرمي كل من رماهم قائلاً (٢):

فَإِنْ أَنَا عَنْكُمْ لَا أَصَالِحِ عَدُوُّكُمْ وَلَا أُعْطِيهِ إِلَّا جِدَالًا وَمِحْرَبًا
سَيَبْتَغِ كَلْبِي جَهْدَهُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَأَغْنِي عِيَالِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤْتَبَا
وَأُدْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأَعِيرُكُمْ لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الْخَفَاجِيِّ مِلْحَبَا

يخاطب الأعشى بني سعد بن قيس فيقول لهم: إنه لن يكون وفيًا إلا للقرابة والنسب، وأنه لن يُصالح عدوهم وسيكون حرباً عليهم، وأن كلبه سينبح من ورائهم مدافعاً، ولكنه سيغني عياله منهم حتى لا يناله لوم وتأنيب، وسيدافع عن أعراضهم وسيعيرهم لسانه الحاد كالمقراض، "ومع ذلك فقد أصر القوم على غيهم، وظلوا في طغيانهم يعمهون، وتأزم الأمر حين أغروا شاعراً اسمه "جهنم" بمهاجاته والنيل من عرضه وهو ليس له بكفاء، ولم يكن نداً له، فضلاً عما تناوله من عرضه وشرفه والتهم عليه (٣).

فهذا الموقف الصعب الذي واجهه الأعشى هو الذي أوحى إليه بهذه القصيدة والعاطفة في هذه الأبيات مفعمة بالأسى تعكس نفس الشاعر الحزينة، فهي مليئة

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٠٦.

(٢) شرح ديوان الأعشى الكبير، ص ٤٢ - ٤٣.

(٣) عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، تأليف: عباس بيومي عباس، ص ٢٦١.

بالإحسان مقابل الإساءة، ويشدّد الموقف على الشاعر لأنّ الضيم من أقاربه لا من الأبعاد فيكون شديد الوقع على النفس.

وقد بلغ بالأعشى من شدة حبه لقومه، أنه كان يُشيد بهم في قصائد المدح التي ينشدها، ففي إحدى رحلاته العديدة إلى نجران مكث الأعشى مدة طويلة فيها عن أهله، فاشدّد به الوجد إليهم، فقال متحدّثاً عن قومه معدداً مآثرهم في شعر يذوب من رفته ويفيض من عذوبته قائلاً^(١):

إِنِّي مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ قَوِي وَإِنِّي إِلَيْهِمْ مُشْتَاقٌ
وَهُمْ مَا هُمْ إِذَا عَزَّتِ الْخَمُ رُ وَقَامَتِ زِقَافُهُمْ وَالْحِقَاقُ
الْمُهِنِينَ مَا لَهُمْ لِيْزَمَانِ الْ— سَوَاءٍ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا

- الرافد الثاني: المعارف التاريخية:

لقد قدم الأعشى للتاريخ صورة جميلة من خلال ما تعرض له من أخبار الأمم والشعوب، فكان تقيمه يُنم عن فهم وإدراك من خلال إجماله وتفصيله للأحداث، وقد أوقفته هذه الأحداث على فحوى الأمور وعاقبة كل شيء، حتى صارت لديه في هذه الحياة الأسوة والمثل، والقناعة والرضى، فهو القائل^(٢): وأي امرئ لم يخنه الزمن حينما تعتصره هذه الحياة بآلامها، وهو القائل أيضاً^(٣) وهل خالد من نعم حينما شاهد زوال الممالك ومن فيها من العظماء.

وجميع هذه التساؤلات هي وليدة الإدراك والوعي بالتاريخ، وهو لا يعنيه في المقام الأول السرد والرواية بقدر ما تعنيه صياغة العبر والدروس الجميلة كما يقول^(٤): ففي ذلك للمؤتسي أسوة، ومن تلك النماذج التي يستعرض فيها الأعشى أخبار الأمم القديمة والبائدة قوله^(٥):

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، ص ٢٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٣١٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٥) المصدر السابق، ص ١٦٥ - ١٦٦.

أَلَمْ تَبْرُوا إِرْمًا وَعَادَا أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
بَادُوا قَلَمًا أَنْ تَأَادُوا قَفَى عَلَى إِثْرِهِمْ قَدَارُ
وَقَبْلَهُمْ غَالَتِ الْمَنَابَا طَسَمَا وَلَمْ يُنْجِهَا الْحِذَارُ
وَحَلَّ بِالْحَيِّ مِنْ جَدِيسٍ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطَارُ
وَأَهْلُ عُمْدَانِ جَمَعُوا لِلْذَهْرِ مَا يُجْمَعُ الْخِيَارُ
فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الذَّوَاهِي جَائِحَةٌ عَقَبَهَا الدَّمَارُ
وَقَدْ غَنُوا فِي ظِلَالِ مُلْكٍ مُؤَيَّدٍ عَقْلُهُمْ جُفَارُ
وَأَهْلُ جَوْ أَتَتْ عَلَيْهِمْ قَافٌ سَدَّتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا
وَمَرَّ حُدٌّ عَلَى وَبَارٍ فَهَلَكَتْ جَهْرَةً وَبَارُ

ولم تقتصر ثقافة الأعشى على أخبار الأمم البائدة، وإنما كانت معرفته واسعة شملت الأمم المجاورة للعرب، يقول الأعشى في ذكر الملوك المعاصرة وما كانوا عليه من النعيم^(١):

وَلَا عَادِيَا لَمْ يَمْنَعْ الْمَوْتَ مَالُهُ وَرَدَّ بِتَيْمَاءَ الْيَهُودِيِّ أَبْلَقُ
بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ حَقِيبَةً لَهُ أَرْجُ عَالٍ وَطَيُّ مُوْتَقُ
يُوزِي كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدُونَهُ بَلَاطُ وَدَارَاتٍ وَكَلَسٌ وَخَنْدَقُ
لَهُ دَرَمَكٌ فِي رَأْسِهِ وَمَشَارِبُ وَمِسْكٌ وَرِيحَانٌ وَرَاحٌ تُصَفَّقُ
وَحُورٌ كَأَمْثَالِ الدَّمَى وَمَنَاصِفُ وَقِدْرٌ وَطَبَاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقُ

وقد جعلت هذه الثقافة التاريخية من الأعشى حكماً في بعض النازعات مثل نزاع علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل، وخروج قيس بن مسعود الشيباني على قبيلته، يقول الأعشى^(٢)، وهو يتكلم بلسان الحاذق الماهر:

(١) شرح ديوان الأعشى، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٣.

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ غَافِلًا فَلَسْتُ بِالْوَائِي وَلَا الْفَاتِرِ
وَأَسْمَعَ فَإِنِّي طَبِينٌ عَالِمٌ أَقْطَعُ مِنْ شَقْ شَقَّةِ الْهَالِدِ
ويقول أيضاً: (١)

فَمَا أَنَا عَمَّا تَعْمَلُونَ بِجَاهِلٍ وَلَا بِشَبَابَةٍ جَهْلُهُ يَنْدَفِقُ
- الرافد الثالث: اللهو:

يُعتبر الشعر الخمرى عند الأعشى شعر لهو وترف، وقد شاع هذا النوع من الشعر في معظم العصور، وبلغ به بعضهم حد المجون والإباحة كما بلغه الأعشى الذي عُرف بشاعر اللذة والخمرة، وقد عُرِفَت أرض اليمن وهي أرض الأعشى بنخيلها وكثرة الكروم فيها، ومن مناطق اليمن المشهورة بالزراعة "أثاقت" (٢)، وهي قرية باليمن ذات كروم كثيرة (٣)، وقد انفرد الأعشى فيها بمعصر خاص له في هذه القرية فيقول (٤):

أَحِبُّ أَثَاقَتَ وَقْتِ الْقِطَافِ وَوَقْتَ غُصَّارَةِ أَعْنَابِهَا

وقد كان لرائحة الخمرة وطعمها وقدمها مجالات أخرى عن الأعشى فهي لذاعة رائحتها كالمسك، وهي منعشة تسل غمامة المزكوم، يقول الأعشى (٥):

وَشَمُولٍ تَحْسِبُ الْعَيْنُ إِذَا صُفِّقَتْ وَرَدَّتْهَا نَوْرَ الذُّبُحِ
مِثْلُ ذِكِّي الْمِسْكِ ذَاكَ رِيحُهَا صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ تَوَحَّحْ

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) بلد همدان أثاقت ويسمى بها كثير من همدان أثاقت علي قول من يقول تابوت وتابوه ولهم بها عدد وشرف وكرم، وكان أعشى بني قيس بن ثعلبة يزورهم ويتخرف عندهم، وكان له في أعنانهم معصر الخمر، الهمداني، الإكليل، ج ١، ص ١١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٨٩.

(٤) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٦٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٩٢ - ٩٣.

لقد ولع الأعشى بالخمرة وتعلق بها، وهام بالغناء في حضرة المغنيات والجواري وتعسقه، ولذلك فقد وجدة لذة لا تعادلها لذة مع الخمرة والغناء، فجاء شعره حاملاً للإحساس الصادق، والتعبير الذي يحمل الانفعال الصاخب وتلك هي نفسيته قيل لأعشى بكر: ما السرور ؟ قال: صهباء صافية، تمزجها ساقية من صوب غادية (١).

وقد أفاض ديوان الأعشى بالحديث عن مجالس الخمرة والغناء فهو لا يكف عنها، إذ يجد فيها لذته ومتعته، حتى إذا ذهب سكرها وأفاق لا يستطيع التخلص من الكأس الأولى إلا بالثانية، يقول الأعشى (٢):

وَكَأْسٌ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
لَكِي يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي امْرُؤٌ أَتَيْتُ الْمَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا

وهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد من الشعراء، وإنما هو أبو عذرة، ومبتكره، وقد استغله الشعراء من بعده في الخمر والحب (٣)، وقد شرب الأعشى الخمرة في كل مكان وزمان، وعاقبها أني وجدها، ولو أقام في مكان ما مدة طويلة فذلك لأنه وجد فيها من الخمر الطيب، يقول (٤):

فَقَدْ أَشْرَبْتُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمُ مِنْ يَوْمِ الْمَقَامِ وَيَوْمِ الظَّعَنِ
وَأَشْرَبْتُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَا قَدْ دَجَنَ

ولم يفت الأعشى وهو في غمرة استمتاعه بالخمرة أن يتحدث عن لون الخمرة، إذ كان يروق للأعشى ما يراه من ألوان الخمرة في الكؤوس، فهي مثل لون الفصوص، ومثل حدقة عين الديك، يقول الأعشى (٥):

وَذَاتِ نَوَافٍ كَلَوْنَ الْفُصُوصِ صِ بَاكَرْتُهَا فَادْمَجَتْ ابْتِكَارًا

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٦، ص ٢٢٠.

(٢) شرح ديوان الأعشى، سلسلة شعراونا، ص ٦٨.

(٣) عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، تأليف: عباس بيومي عباس، ص ٦٥.

(٤) شرح ديوان الأعشى، سلسلة شعراونا، ص ٣٦٠.

(٥) المصدر السابق، ص ١٣٩.

ويقول فيها (١):

وَصَهْبَاءٌ صِرْفٌ كَلَوْنِ الْفُصُوفِ صِ بَاكَرْتُ فِي الصَّبْحِ سَوَارَهَا
ويقول أيضاً (٢):

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا بِفَتَيَانِ صِدْقٍ وَالنَّوْاقِيسُ تُضْرَبُ
سُلَافٍ كَأَنَّ الزَّعْفَرَانَ وَعَنْدَمًا يُصَفَّقُ فِي نَاجُودِهَا ثُمَّ تُقَطَّبُ
لَهَا أَرْجٌ فِي الْبَيْتِ عَالٍ كَأَنَّمَا أَلَمَّ بِهِ مِنْ تَجَرٍّ دَارِينَ أَرْكَبُ

أما رائحة الخمرة فقد كان لها نصيب أيضاً من شعر الأعشى، فقد أبان عن رائحة الخمرة في أنف الشارب وهي تتخلل روحه، إذ كانت الخمرة النادرة المعتقدة تنقل من مواطنها محمولة فوق النوق والدواب إذ تنفذ رائحتها القوية إلى الأنف وكأنها ريح المسك فتستل الزكام، يقول الأعشى الكبير (٣):

مِنَ اللَّاتِي حُمِلْنَ عَلَى الرِّوَايَا كَرِيحِ الْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا
وتكاد رائحة الخمرة عن الأعشى تفوق رائحة المسك، فيقول (٤):

كُمِيتَ عَلَيْهَا حُمْرَةً فَوْقَ كُمِيتَةٍ يَكَادُ يُفَرِّي الْمِسْكِ مِنْهَا حَمَاتُهَا
ويقول أيضاً (٥):

بِبَابِلٍ لَمْ تُعْصَرَ فَجَاعَتِ سُلَافَةٌ تُخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكَاً مُخْتَمًا
ويقول (٦):

مِثْلُ ذِكِّي الْمِسْكِ ذَاكَ رِيحُهَا صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قَلِيلَ تَوَحَّحِ

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ١٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٩٣.

والى جانب هذا كله لم ينس الأعشى أن يذكر في شعره أثر الخمرة على شاربها، وإنما أعرب عنه فهي تتسل في خفاء إلى العظام فتضعف من قوتها، ويصل فتورها إلى قمة الرأس، فهي تؤثر في الإنسان قبل أن يتذوقها، يقول (١):

تَكَادُ تَنْشِي وَكَمَا تُذَقُّ وَتَغْشِي الْمَقَاصِلَ إِفْتَارَهَا

ويظل الأعشى يشرب الخمرة ويشربها إلى أن يتمكن منه، فتتحرك أمامه الأشياء ويترنح الأعشى من شدة تأثيرها عليه، يقول (٢):

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْبِرَاحَ أَسْفَى مِنْ إِتَاءِ الطَّهْرِ جَارَهَا

حَتَّى إِذَا أَخَذْتُ مَاءً خَذَهَا تَغَشَّتْنِي إِسْتِدَارَهَا

وللخمرة أنواع منها الجيدة المعتقدة الغالية الأثمان، ومنا الرديئة الرخيصة، فإن كانت جيدة فإنها تنال سريعاً من شاربها، فتحد من حركته، وتقيد نشاطه، وتتركه ومن معه كسالي، يقول الأعشى الكبير (٣):

وَصَهْبَاءُ صِرْفٍ كَلَوْنَ الْفُصُوصِ سَرِيعٍ إِلَى الشَّرِبِ إِكْسَالَهَا

وقد بلغ بالأعشى أنه صور أثر الخمرة على أصحابها أجمل تصوير، فهام يفترشون الأرض وقد تمددوا عليها كالحيال المتشابكة قد نصبت لصيد القروء، ما بين مغلوب قد صرعه الخمرة وما بين آخر قد خذله رجله فهو يجرها أثناء السير لشدة ثقلها وما هو بكسيح، يقول في ذلك (٤):

فَتَرَى الشَّرْبَ نَشَاوَى كُلَّهُمْ مِثْلَ مَا مُدَّتْ نِصَابَاتُ الرِّيحِ

بَيْنَ مَغْلُوبٍ تَلِيلِ خَذَّةٍ وَخَذُولِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحِ

أمّا المجالس الخمرية فقد فاض شعر الأعشى بالحديث عنها، فهي متنوعة لم تأخذ طريقاً واحدة، واختلافها يرجع إلى اختلاف البيئة التي كان يقام فيها ذلك المجلس

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراونا، ص ١٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٤ - ٩٥.

فهذا واحد من مجالس الخمرة المترفة، إذ الخمرة فيها ذكية الرائحة، تملأ المكان، وتقعم الأنوف، وهذه الخمر لها حارس وهو الخمار، لا يتركها أبداً فإذا ما صبت وفاحت ريحها صلى عليها حارسها وباركها، وكيف لا يفعل ذلك وهي خلاصة خمر (بابل)، فكأنها في دنها المسدود بالختام قد مزجت بالعنبر والمسك، ثم يطوف الساقى بالخمرة وقد علق في أذنيه للؤلؤتين، يسرع في رشاقة لكي يلبي نداء الشاربين، ويصف الأعشى ما يحيط بالمجلس من أزهار ورياحين وغناء، فيرسم لنا صورة من بينات الخمر الفارسية المترفة في العراق فيعدد ألوان الرياحين وآلات الطرب بأسمائها الفارسية، يقول الأعشى الكبير (١):

وَإِذَا بُزِلَتْ مِنْ دَنِّهَا فَاحَ رِيحُهَا	وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْ أَسْوَدِ الْجَوْفِ أَدهمَا (١)
لَهَا حَارِسٌ مَا يَبْرَحُ الذَّهْرَ بَيْتَهَا	إِذَا ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمَمَا
بِبَابِلَ لَمْ تُعْصِرْ فَجَاعَتْ سُلَاقَةُ	تُخَالِطُ قِنْدِيداً وَمِسْكَاً مُخْتَمَا
يَطُوفُ بِهَا سَاقِي عَلَيْنَا مُتَوِّمٌ	خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يَزَالُ مُقَدِّمًا
بِكَأْسٍ وَإِبْرِيقٍ كَأَنَّ شَرَابَهُ	إِذَا صُبَّ فِي الْمِصْحَاةِ خَالِطٌ بِقَمَا
لَنَا جُلُوسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ	وَسَيِّسِنِيرٌ وَالْمَرْزُجُوشُ مُنَمَّمَا
وَأَسْنٌ وَخَيْرِيٌّ وَمَرُوءٌ وَسَوْسَنٌ	إِذَا كَانَ هِنَزَمَنْ وَرَحَتْ مُخَشَّمَا
وَشَاهِ سَقَرِمٍ وَالْيَاسَمِينُ وَتَرْجِسٌ	يُصَبِّخُنَا فِي كُلِّ دَجْنٍ تَغَيِّمًا
وَمُسْتَقٌ سَيَيْنٌ وَوَنٌّ وَبَرَبْطٌ	يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إِذَا مَا تَرْتَمَا

وينقلنا الأعشى إلى مجلس آخر كانت الخمرة فيه باردة، طيبة النكهة، يحسبها من يراها كأنها زهرة الذبح الحمراء، رائحتها من رائحة المسك، وقد وضعت هذه الخمرة في أنية من أواني الحيرة سواء ذات اتساع لا تتأثر بما يأخذ الإبريق والقدر

(١) شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

(١) البنفسج، والسيسنير والمرزجوش، أنواع من الرياحين والورود كلها أسماء فارسية معربة، شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، ص ٣٣٣.

منها طوال اليوم فهي ممثلة، ولها رغبة تزيد سرعان ما تتزاح تتداولها الكؤوس البيضاء، يقول الأعشى قيس^(١):

وَشُمُولُ تَحْسَبُ الْعَيْنُ إِذَا صُفِّقَتْ وَرَدَّتْهَا نَوْرُ الذَّبْحِ
مِثْلُ ذَكِي الْمِسْكِ ذَاكَ رِيحُهَا صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ تَوَحُّ
مِنْ زِقَاقِ التَّجْرِ فِي بَاطِنِهَا جَوْنَةً حَارِيَّةً ذَاتَ رُوحِ
ذَاتِ غُورٍ مَا تُبَالِي يَوْمَهَا غَرَفَ الْإِبْرِيْقِ مِنْهَا وَالْقَدَحِ
وَإِذَا مَا الرَّاخُ فِيهَا أَزْبَدَتْ أَقْلَ الْإِرْبَادُ فِيهَا وَامْتَصَحِ

وهذا مجلس ثالث للخمرة قد خلا من الموسيقى والغناء، واقفر من المرأة وليس فيه سوى الخمر، وهو مجلس فريد في الشعر الجاهلي، لأنه يعرض ما كان من أمر الأعشى ورفيقه مع بائع الخمر، وكيف استطاعا في النهاية أن يظفرا بما رغبا فيه، وينالا ما أحبا^(٢)، إذ وفد على الأعشى رفيق له وكاد الليل أن ينجلي، وشرع رفيقه يساوم في الخمر ويزين له ما يبغى، فذهبا معاً نحو بائع الخمرة قبل وضوح الرؤية وسماع صياح الديكة، واستعراض ما أمام البائع من خمر متنوعة، ثم يعرض علينا الأعشى ما كان بينه وبين الخمار من حوار في أسلوب قصصي رائع تملؤه الحياة فيصور هذا الخمار أنه غير عربي أزرق العينين، كأنه حارس يزود الناس عن هذا الكنز الثمين من الخمر، وقد وضعه في خابية كبيرة سوداء.

وينظر الأعشى إلى هذه الخابية الضخمة فيقول للخمار (مشيراً إليها): هذه هاتهما ما أريد غيرهما، وخذ فيها ما شئت من المال. ويذلل لها الأعشى ناقة بيضاء براعيها، ولكن الخمار يتلأأ في إجابته، فهو عليم بأنهم حريصون على اقتناء هذه الخمرة، فيقول لهم: بل تزويدني فوق هذه الناقة وراعيها تسعة دراهم.

(١) شرح ديوان الأعشى، سلسلة شعراؤنا، ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، تأليف: عباس بيومي عباس، ص ٧٧.

فيعطيه الأعشى ما يريد، ثم يضيء الخمر خيمته بالسراج وراح يعدّ الدراهم تسبيل إعطائهم الخمرة، فيصيح الأعشى بالخمر متعجلاً: لا تبطئ علينا بعدّ الدراهم، يقول الأعشى واصفاً ذلك (١):

وَأَبْيَضَ مُحْطَطٍ بِالْكِرَا	م لَا يَنْقَطُ إِلَى لِنَافِدِهَا
أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي النَّشْوِ	لِ لَيْلٍ فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا
أَرْحَنَّا نُبَايِرُ جِدَّ الصَّبَوِ	ح قَبْلَ النَّفُوسِ وَحَسَادِهَا
فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دَيْكُنَا	إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا
تَنَخَّلَهَا مِنْ بَكَارِ الْقُطَافِ	أَزِيرُقُ آمِنُ إِكْسَادِهَا
فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِهَا	بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا
فَقَالَ تَرِيدُونَنِي تِسْعَةَ	وَأَيَّسَتْ بَعْدَ لَيْلٍ لَأَتَدَادِهَا
فَقُلْتُ لِمِنْ صَفْنَا أَعْطَاهُ	فَلَمَّا رَأَى حَضْرَ شُهُودِهَا
أَضَاءَ مِظْلًا نَتَهُ بِالسَّارَا	ج وَاللَّيْلِ غَامِرُ جُودِهَا
دِرَاهِمُنَا كُلِّهَا جَيِّدٌ	فَلَا تَحْبِسْنَا بِتَنَادِهَا

ثم يقوم الخمر إلى التّن، فيصب لهم خمرأ تسري نشوتها في المفاصل فترعدها ويصف الشاعر صورة الخمرة التي ثارت وأزبدت ثم انكشف لونها الأحمر المائل إلى الأسود لكثافتها، فإذا مزجت بالماء وسكنت انكشف لونها الأحمر الجميل، ويضيف الشاعر أن لون الخمرة قد انعكس على كفّ أساقبي فبدا كالخضاب الذي يزين الكف، وهي من الصور الطريفة الجميلة في الشعر الجاهلي، يقول الأعشى الكبير (٢):

فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةٌ	تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا
كُمَرَاتًا تَكْشِفُ عَنْ حُمَرَةٍ	إِذَا صَرَّخَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا

(١) شرح ديوان الأعشى، سلسلة شعراؤنا، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤.

كَحَوْصَلَةِ الرِّئَالِ فِي دَنِّهَا إِذَا صُوِّبَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا
فَجَالَ عَلَيْنَا بِإِبْرَيقِهِ مَخْضَبُ كَفِّ بِفِرْصَادِهَا

لقد كان لصناعة العرب وحده شعر في الخمرة يبلغ ضعف الشعر الخمري الجاهلي بكامله، ولكن قيمة خمرياته في الطرافة لا في الكثرة، وفي الأسلوب الذي امتاز بالسرد القصصي، واللوحات التامة رغم الإيجاز في الوصف، وهذا يدل على أن سيد شعراء الخمرة في الجاهلية (الأعشى الكبير) كان عارفاً بأسرار اللفظة، شديد الإحساس بالجرس الموسيقي، لقد عبر الأعشى عن ذاته وبيئته من خلال طبيعتها البسيطة المعالم، ووقف عند حدود تلك الذات، فلكل عصر موحياته ولكل بيئة حدودها.

- المصادر والمراجع:
- إبراهيم الفنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، مثال ونقد، ط ١، ١٩٩٦م.
- أبي الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م.
- ابن عبد ربّه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٦، ١٩٩٧م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
- الاصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- خليل عيد سالم الرفوع، في النصوص الجاهلية، دار حنين، عمان، ٢٠٠٥م.
- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.
- الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، بيروت، ١٣٨٥هـ.
- شرح ديوان الأعشى الكبير، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.
- عباس بيومسي عجلان، عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ١٩٨٥م.
- عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية معياراً نقدياً منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٧م.
- غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياها - أغراضه - أعلامه - فنونه، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م.
- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوح، نشر دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م / .
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت.

